بلاغة الاقناع في شعر ابن هانئ الاندلسي

- الكناية انموذجا –

أ.د علي كاظم محمد علي المصلاوي

حسين علي حسين زيارة السعدي

The Rhetoric of Persuasion in the Poetry of

Ibn Hani Al-Andalusi

-The metonymy is a model-

المستخلص :

كشفت هذه الدراسة عن الجهود الإقناعية التي بذلها ابن هانئ الاندلسي و تسليط الضوء على آلية الكناية التي استخدمها للوصول بالمتلقي الى الاقناع من خلال خطابه الشعري و الحفاظ على الجودة الشعرية العالية و الحفاظ على القيم الجمالية ، و قد وظَّف أبن هانئ الاندلسي التشبيه في خدمة العملية الإقناعية من خلال استثمار القيمة الجمالية للكناية و قدرتها الإقناعية الكامنة ، كما استخدم انواعا مختلفة من الكناية للتأثير على المتلقي و فتح أمامه آفاقا واسعة في استنتاج العلائق بين أطراف العلاقة بمهارة عالية ، و كان لابد من الاخذ بنظر الاعتبار عقيدة الشاعر ، فمَن أراد محاكمة ابن هانئ فلا بُد له من فهم عقيدته أولا ، و بالفعل فقد حمل شعره أفكار العقيدة الاسماعيلية و إننا حين نرجع إلى ديوان هذا الشاعر نجد أنه كان على علم واسع بالدين و إذا تأملنا البيئة الفاطمية والمعزية وحدها التي صادفت عصر الشاعر والتي كانت تسودها الفلسفات المتضاربة ، والمناقشات الدينية و العلمية الكثيرة، علمنا أن ابن هانئ قد درس الدين دراسة توجته بالصلاح والتقوى، وجعلته يعرض تمام الإعراض عن الرذائل التي تلطخ قدسية معتنقه حتى ان الشاعر ترفع عن الهجاء احتراما للمسؤولية التي تطوع للتصدي لها ، و هذا دليل على انه كان مخلصا في عقيدته و ليس مجرد متكسب من المعز الفاطمي .

:Abstract

This study revealed the persuasive efforts made by Ibn Hani Al Andalusi and shed light on the metonymy mechanism that he used to reach the recipient to persuasion through his poetic discourse and to maintain high poetic quality and preserve aesthetic values. By investing the aesthetic value of the metonymy and its latent persuasive ability, he also used different types of metonymy to influence the recipient and opened up broad horizons for him in deducing the relationships between the parties to the relationship with high skill. He had to understand his creed first, and indeed his poetry carried the ideas of the Ismaili creed, and when we return to the Diwan of this poet, we find that he was well-acquainted with the religion. We learned that Ibn Hani had studied religion in a study that crowned him with righteousness and piety, and made him completely reject the vices that taint the sanctity of his adherent, to the extent that the poet lifted The spelling is out of respect for the responsibility that he volunteered to

confront, and this is evidence that he was sincere in his faith and not just a profiteer from the Fatimid Mu'izz.

توطئة :

مما لا شك فيه أن البلاغة احتلت مكانةً مهمةً في الأدب العربي بشكلٍ عام و في الشعر بشكل خاص ، و ذلك لما يعتمد عليه الشعر من أساليبٍ بلاغية و صور مجازية تعمل على خلق الإيماءات المتناسقة و لغة الشعر القائمة على التكثيف اللغوي او الإيجاز الذي ينطوي على الاشارة الى المعاني تلميحا أو تكنية أو مجازا .

و إن شاعرا كابن هانئ الاندلسي الذي كرَّس طاقته الشعرية في خدمة البلاط الفاطمي و الدفاع عن عقيدة البلاط التي يعتنقها هو شخصيا لم يكن مضطرا للاعتماد بشكل أساس على الإيحاء والتلميح والإيجاز في عرض الأفكار والقضايا فكانت لديه مساحة مفتوحة من الحرية و كان مُخيرا بين التصريح و التلميح و انعكست هذه الحرية في شعره فاستعمل الفنون البلاغية لغاياته الإقناعية بكل اريحية ، و قد حرص على ضمان التأثير في المتلقي و إقناعه من خلال إحكام سبك شعره بصياغات شعرية في أبلغ صورة و أوجزها تحاشيا لتشتيت ذهن المتلقي .

تُساهِم الاليات البلاغية – و من ضمنها الكناية - في إكساب النص قيمة جمالية كبيرة تُغذي الجانب الإمتاعي للنص و لكن هذا لا يُلغي قيمتها الحجاجية الاقناعية بل على العكس من حيث انها تُعبِّر عن الحجج الاقناعية بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا و إصابة [١] ، و هذا ما تؤيده البلاغة الجديدة اليوم حيث يراها بيرلمان على أنها مجموعة من التقنيات الموجهة الى إقناع المتلقي أو الرأي العام [٢] و يرى روس ان " **الصور البلاغية هي عملية اسلوبية تنشط الخطاب ، و لها وظيفة إقناعية** " [٣] ذلك أن " **الصور و الأساليب البلاغية هي تقنيات تستدعيها جمالية الإيصال و التلقي** " [٤] ، اذن " **فالصورة تُعد حجاجية اذا كانت ذات آثار انفعالية ، أي أن تحرك في المتقبل مشاعر معينة و بالتالي تحمله على تبني قناعة ما و إظهار استعداد للسير في الطريق التي رسمها المتحدث** " [٥] أي يجب ان ينبي على الصورة البلاغية أثر في نفس المتلقي و سلوكه و من هنا نستطيع أن " **نستنتج أن البلاغة قد تؤثر و تميل و تمتع ، و لكنها لا تقنِع و تفخم الا اذا تلاحمت مع الحجج العقلية ... كما ان الحجاج لا يجد عناصره الاساسية الا في المعاني البلاغية كأدوات إقناعية لذلك يصح القول بأن الحجاج البلاغي هو حجاج موجه للقلب و العقل معا** " [٦] حيث يدخل المتلقي في حالة من النشاط العاطفي العقلي التفاعلي الذي بدوره يُنتج الاثر الخارجي عنده لأن " **الصورة الفنية تدفع المتلقي دفعا نحو الاسهام في انتاج الدلالة التي تسد الشاغر ، فالغاية من سوق الصورة هو الاقناع بواسطة الشكل و المادة معا** " [٧] .

و في المراحل التالية ستتناول الدراسة نبذة عن حياة الشاعر مع بيان القدرة الإقناعية لإسلوب الكناية في شعر الشاعر.

ابن هانئ الأندلسي :

هو أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الأزدي الالبيري الغرناطي الأندلسي المغربي [٨] ، قيل أنه ولد سنة ٣٢٠ ه أو ٣٢٦ ه و الثانية هي الاشهر و الأدق[٩] ، في قرية اسمها (سكون) و هي من قرى اشبيلية ، و كان ابوه شاعرا و اديبا من قرية من قرى المهدية بتونس وهاجر الى اشبيلية و قد أحسن تربيته فنال حظا طيبا من الثقافة و اتم تعليمه بقرطبة و مرت حياته بثلاث مراحل **فالمرحلة الاولى** يلفها الغموض فلا نجد ذكرا لطفولته و لا شعرا ينم عن تدرج مقدرته الفنية اثناء تعلمه ! و قد " **أزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه ، و أشار عليه صاحب إشبيلية بذلك درءاً للفتنة** " [١٠] و لا توضح المصادر أكثر مما ذكره ياقوت الحموي أما **المرحلة الثانية** فتبدأ بهجرته الى المغرب العربي و اتصاله بالقادة والولاة حتى ذاع صيته فبدأت **المرحلة الثالثة** حينما طلبه المعز لدين الله الفاطمي فوجد كل واحد منهما ضالته في الآخر ، و اختص بمدح المعز الفاطمي و رجال دولته ، وعُرفت قصائده التي مدح فيها المُعز بـ (**المُعزيِّات**) على غرار (**الهاشميات**) للكميت و (**الروميات**) لأبي فراس الحمداني و (**السيفيات**) و (

الكافوريـــات) للمتنبي و لربما كانت هذه القصائد من الأسباب المباشرة لقتله بزعم ما انطوت عليه من الكفر والإلحاد و الغلو في مديح المعز، وُجِدَ مقتولا سنة ٣٦٢ ه و في كيفية قتله و مَن وراءه ؟ خلاف كبير تناولته المصادر بتفصيلات كثيرة دون ترجيح واضح لهوية القاتل الا انهم يتفقون على ان تشيعه و عدائه لبني امية سبب مهم لقتله(١١).

- **أهم آراء النقاد فيه :**

لقد تضاربت آراء النقاد في ابن هانئ الاندلسي و شعره ، فمنهم مَن ساوى به الثريا و منهم مَن أنزله للثرى و لكن الحقيقة تكمن في النظر للدوافع التي دفعت كل واحد منهم لرأيه ، فمنهم مَن نظر للقيمة الفنية لشعره فحكم حكما أدبيا حسبما يراه ، و منهم مَن نظر الى شخصه و لعقيدته تحديدا فجاء حكمه دينيا و لكنه انسحب على الجانب الفني الادبي عند الشاعر ، ثم جـــــــــاء من يأخذ عنهم فنقل دون النظر الى أصل الاحكام ، و هنا حدث الخلط ! و لكن لو أمعنَّا النظر قليلاً لتوضحت الامور ، لننظر مثلا الى قول ابن شرف القيرواني (ت ٥٤٢ ه) في ابن هانئ الاندلسي بانه **" رجل يستعين على صالح دنياه بفســـاد أخراه لرداءة عقله ورقة دينه، و ضعف يقينه ، و لو عقل لم تضق عليه معاني الشعر حتى يستعين عليها بالكفر "** (١٢) و هنا يتجلى **" الأثر الأخلاقي الديني الذي تركته عقيدة ابن شرف المخالفة لعقيدة ابن هانئ في حكمه السابق؛ إذ إنه لم يحكم عليه حكما فنيًا نابعا من دراسة متعمقة لنصوصـــه، بل أنه تأثر بما أودعه ابن هانئ من قيم و أفكار عقائدية خاصـــة بالمذهب الفاطمي الذي يخالف مذهب ابن شرف مما دفعه للحكم بالسلب على منهج الشاعر في مدحه لا على نتاجه ، و قد تبنى رأي ابن شرف سابق الذكر غير واحد من الدارسين القدماء، و نقلوا حكمه في شعر ابن هانئ الذي استند فيه إلى معيار أخلاقي عقدي "** (١٣) ثم يمضي الكاتب استعراض جملة من الأحكام التي سايرت حكم ابن شرف القيرواني ، و لكن لو دققنا النظر في قول ابن شرف القيرواني لوجدناه يقول قبل كلامه المذكور آنفا ما نَصُّه **: " نجدي الكلام، سردي النظام، إلّا أنه إذا ظهرت معانيه، في جزالة مبانيه، رمى عن منجنيق لا يؤثر في النّفيق "** (١٤) فابن شرف ذكر رأيا فنيا أشاد فيه بجودة شعر الشاعر و أظهر اعجابه به و بيَّن مدى قوته ثُم دفعه تحامله المذهبي على النيل من ابن هانئ الاندلسي بعدها أو ربما يكون خاف على نفسه من اللوم و النقد – و ربما يلقى نفس مصيره ان تعاطف معه - من ابناء مذهبه و دولته فكأنه استدرك و تبرأ منه ! و هذا دليل على قوة شعر ابن هانئ الاندلسي إذ يُشيد بشعره المُخالف قبل المؤالف و يتبين لنا من خلال ذلك أن الشاعر تمكن من اقناع اعدائه بقدرته الفنية على الاقل ، و هذه واحدة من الاسباب الموجبة لدراسة شعره من الناحية الإقناعية ، و من جملة مَن ذكر الشاعر ابن خاقان (ت ٥٢٩ ه) ، اذ يقول **: " عِلقٌ خطيـــــر ، وروض أدبٍ مَطير، غـــــاص في طلب الغريب حتـــى أخرج دُرَّه المَكنون ، و بهرج بافتنانه كل الفُنون ، و له نَظم تتمنّى الثُّريا أن تُتوَّج به و تتقلّد ، و يودّ البدر أن يكتبَ فيه ما اخترع و ولّد ، زهت به الأندلس و تاهت و حاسنت ببدائعه الأشمس وباهت فحسد المغرب فيه المَشرق ، و غصّ به من بالعراق و شَرق ، غير أنه نبت به أكنافُها ، و شَمخت عليه أنافُها ، وبرئت منه ، و زوى الخير فيها عنه ، لأنه سَلك مسلك المعرّي ، و تجرّد من التديّن وعُرِّي ، وأبدى الغُلُوَّ ، و تعدَّى الحقَّ المَجلُوَّ... و أمّا تشبيهاته فخرق فيها المُعتاد ، و ما شاء منها اقتاد ، و قد أثبتّ له ما تحنّ له الأسماعُ ، و لا تتمكّن منه الأطماع "** (١٥) و تقول الدراسة في هذا القول مثل القول في سابقه ، ففيه إشادة قوية مفصلة بقدرة الشاعر و قوة خياله و قدرته التصويرية ، مع ذلك فقد ظهر في كلامه تحامل مذهبي لا يَمُت للجوانب الفنية بصلة ، و لكن المُلفت قوله (**سَلك مسلك المعرّي)** و هذه اشارة مهمة للجانب الفلسفي و ما يقتضيه من وجود المنحى الإقناعي في شعر ابن هانئ الاندلسي و هذا ما تكفلت بكشفه هذه الدراسة ، و ذكره ابن شداد القيرواني (كان موجودا سنة ٦٠٠ ه) **" صاحب كتاب (الجمع و البيان) المفقود و هو حكم يُلقي التبعية ، لا على الشاعر ، بل على المعز ، الذي يُشجع شعراءه على هذا الإفراط و يستزيدهم منه "** (١٦) و ابن شداد هذا هو **" عبد العزيز بن شداد... القيرواني ... و تاريخه ضد العبيديين استفاد منه من جاء من بعده كابن خلكان، و ابن الأثير، والتجاني في(الرحلة) و المقريزي ، و النويري ، و هو مفقود "** (١٧) و السبب في القائه اللوم على المعز الفاطمي واضح و هو عدائه المذهبي للدولة الفاطمية كما تقدم و هو من الآراء المتطرفة ، و لكنه يثبت اهتمام المعز الفاطمي بالشعر بصورة عامة و إدراكه لقيمة الشعر و الشعراء و بلا شك ان ابن هانئ الاندلسي كان ذكيا كفاية ليُدرك أهداف المعز الفاطمي فسخر في خدمتها نفسه و شعره فكان شعره الصوت الرسمي للدولة الفاطمية حاملا افكارها و معتقداتها و يعمل على اقناع الآخرين بها ، و ذكره ياقوت الحموي **(ت ٦٢٦ هـ) بقوله : " أديب شاعر مفلق ، أشعر المتقدمين و**

المتأخــرين من المغاربة ، وهـو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق ... و نال حظا واسعا من علوم الأدب وفنونه ، وبرز في الشعر فلم يباره في حلبته مُبار ولم يشقّ غباره لاحق ، وكان متهما بالفلسفة يسلك في أقواله و أشعاره مسلك المعري ، وما زال يغلو في ذلك حتى تعدّى الحقّ وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل " [١٨] و كما هو واضح فإن رأي ياقوت الحموي لا يخلف عن رأي ابن خاقان فيه ، و يؤكد على المنحى الفلسفي الذي يستدعي الحجاج و من ثم الاقناع ، و من المهم الاشارة الى ان هذا المنحى الفلسفي العقلي لم يُقلل من المستوى الفني للشاعر حسب شهادات القوم فيه مما يُدلل مرة أُخرى على تمكن الشاعر من استعمال أدواته العقلية مع الحفاظ على مستوى عالٍ من الجمالية بحيث يفرض نفسه على النقاد حتى مع اختلافه معهم عقائديا ، و قد أبدى ابن دحية الكلبي (ت٦٣٣ه) تحاملا كبيرا على ابن هانئ الاندلسي حين قال عنه :**" وإن كان قبيح الغلو ، شهير الاستهتار، فربما صدرت عنه درر تلحقه بالشعراء الكبار "** [١٩] و مع ذلك لم يستطع الا الحاقه بالشعراء الكبار ، و ذكره ابن خلكان (ت ٦٨١ ه) ، اذ يقول : **" وديوانه كبير و لولا ما فيه من الغلو في المدح و الإفراط المفضي إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين و ليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم و لا من متأخريهم بل هو اشعرهم على الإطلاق و هو عندهم كالمتنبي عند المشارقة وكانا متعاصرين "** [٢٠] و نجده يُساوي ابن هانئ الاندلسي بالمتنبي من حيث المستوى الفني و يجعله متفردا بأعلى طبقة شعرية بالنسبة للشعراء المغاربة و مع ذلك يظهر أثر الاختلاف المذهبي جليا إذ يقترب بالشاعر من الكفر في تقييمه ، و ذكره الذهبي (ت ٧٤٨ ه) ، اذ يقول : **" و كان حافظا لأشعار العرب و أيامها ، لكنه فاسق خمير يتهم بدين الفلاسفة ... و ديوانه كبير ، و فيه مدائح ، تفضي به إلى الكفر ، و هو من نظراء المتنبي "** [٢١] و لا يختلف الذهبي عن غيره في تعصبه المذهبي و لكن ما يهمنا في قوله بالإضافة لإقراره بشعرية ابن هانئ الاندلسي و عظمة مكانته انه يؤكد على وجود المنحى الفلسفي في شعره و هذا نابع من المسلك الإقناعي في شعره ، و لا يختلف موقف ابن كثير (ت ٧٧٤ ه) عـــن موقف اللائمين كثيرا ، اذ يقول : **" وقد كان قويَّ النَّظْمِ إِلَّا أَنَّهُ كَفَّرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ من العلماء في مبالغته في مدحه الخلق "** [٢٢] ، و قد أشادابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) بالشاعر و مدحه في أكثر من موضع في مؤلفاته و منها قوله **" كان من فحول الشعراء ، و أمثال النظم، و برهان البلاغة ، لا يدرك شأوه ، و لا يشقّ غباره ، مع المشاركة في العلوم ، و النفوذ في فكّ المعمّى "** [٢٣] ، أما قول أَبُي الْعَلَاء المعري عَن شعره **" هُوَ بعر مفضض وَ إذا سَمعه يَقُول رحى تطحن قروناً "** [٢٤] فقد أفردته الدراسة لأنه لا يدخل ضمن التعصب الديني و انما يندرج تحت باب التعصب الشخصي مـــن شـــاعرٍ تجاه شاعرٍ آخر **" لأجل القعقعة التي في الفاظه ، و يزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ "** [٢٥] فهو رأي يخص المعري وحده[٢٦] .

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة على شهادات النقاد القدماء [٢٧] فالقائمة تطول و كلها تشيد بقدرته الفنية حتى و ان هاجمت معتقده ! و هذا طبيعي بالنسبة لشاعر وقف شعره لخدمه معتقده و حاول بشتى الطرق إقناع العالم بأحقيته فتضمن شعره حججا و وسائل إقناعية تشكلت منها مادة هذه الدراسة ، و يظهر أن تضارب الآراء في الشاعر لم يقتصر على آراء القدماء فقط بل امتد ليشمل أراء المُحْدَثِين فيه كذلك ، إذ يقول الدكتور عارف تامر **" ان شعر ابن هانئ قد طُبع بطابع العصر و ذخر بصور تُظهر هذا الواقع و تبرزه بأجلى مظهر ، و لنا من حروب المعز لدين الله مع الروم و استيلائه على بلادهم دليل واضح "** [٢٨] ثم يأتي الدكتور منير ناجي فيقول : **" و هذه الآراء ترينا اختلاف القدماء بالنظر لشعر ابن هاني ، و الواقع ان هذا الشاعر لم تؤثر فيه تطورات الحضارة، و لم يحتذبه جمال الاندلس الطبيعي ، و صفاء سمائها ، بل بقى يجوب بمخيلته الجزيرة العربية ؛ و يقطع فيافيها ، تحرقه شمسها و تلهب اقدامه رمالها ، يرى غزلانها ، و يؤخذ بآرامها و ينظر الى عقبانها و نسورها ، و يتحدث عن ابلها وخيلها ، و هو لذلك لم يكن ابن بيئته ، بل كان يعيش في قرون سابقة ، و لم تظهر عنده معارف القرن الرابع الهجري بثقافاته المختلفة ... و لذا لا يمكننا ان نعتبر شعر ابن هانى صورة واقعية لبيئته ، على الرغم من بعض الانعكاسات البيئية من الناحية الاجتماعية ، فان الصورة التي نستخلصها من شعره لا تساير روح العصر الذي عاش فيه "** [٢٩] فبعد أن يذكر اختلاف القدماء في الشاعر يسرد رأيه فيه و لكن هذا الرأي نفسه لم يسلم من الاختلاف مع رأي الدكتور عارف تامر ، و ترى هذه الدراسة أن كلا الكاتبين قد ركز على جوانب معينة في شعر ابن هانئ الاندلسي فأصدر حُكما خاصا بهذه الجوانب ثم توهم فعمم الحكم على كل شعره ، فمن يُطالع شعر ابن هانئ الاندلسي يجد فيه وصفا لحروب المعز الفاطمي و يرى تصويرا واقعيا للحياة في ذلك الوقت مثل وصف الاسلحة و السفن الحديثة آنذاك ، و كذلك يجد في شعره قصائدا تعمد الشاعر بنائها على نمط الشعر العربي القديم فاستلهم صورها و اخيلتها و معانيها حتى يتوهم المتلقي بان الزمن

قد توقف عند الشاعر ، اذن فقد شمل شعره كلا الجانبين و لم يقتصر على جانب منهما ، و التفت عدد من الدارسين للنبرة الخطابية في شعره التي تستهدف إقناع الآخرين بمشروعية الدولة الفاطمية التي كان يُدافع عنها بكل الوسائل المتاحة أمامه حتى قال الدكتور منير ناجي : **" ما كنت لا تحدث عن الاسماعيلية لولا اني اعتبرها الاطار الروحي الذي تحرك فيه الشاعر ... وان تعاليم هـذا المذهب لتبدو واضحة في شعره حتى قيل ان ديوانه خير ما يمثل هذه الفكرة من الكتب الاسماعيلية التي بين ايدينا و اني لا انكر اني شعرت ، وانا اقرأ ديوان ابن هانيء، اني امام افكار جديدة لم آلفها من قبل ، ولم اجد لها تفسيرا مرضيا الا في تعاليم الاسماعيلية يوم عدت الى هذه التعاليم احاول على ضوئها تفسير افكار ابن هانيء ... و من ثم انتهيت الى التقدمـة لدراسة الشاعر هذا المذهب ... حتى يكون بمقدورنا تفهم الشاعر تفهما ارجو ان يكون كاملا ... حاولت الحصول على بعض المصادر الاسماعيلية "** [٣٠]

الكنـــــاية :

من أهم تعريفات الكناية هو تعريف عبد القاهر الجرجاني الذي عرف الكناية بقوله : **" ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكنه يجئ الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيُومئ به اليه ويجعله دليلاً عليه "** [٣١] و عرفها السكاكي بقوله **" هي ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور الى المتروك "** [٣٢] ، اذ تقوم الكناية بعملية تركيب لغوي ينتقل خلالها المعنى الى احدى لوازمه ، فيتحدث (المُرسِل) بشيء و هو يريد شيئا آخر تستر عليه من خلال المعنى الاول ، تاركا (للمتلقي) حرية التفكير و صلاحية ايجاد الروابط بين المعنيين وصـــولا الـــى المعنى المقصود مع صحة إرادة المعنى الاول [٣٣] ، و مـــن هنـــا نلاحظ أن **" للكناية أثر كبير في العملية الإقناعية بما تمنحه للخطاب من طاقة تعبيرية مكثفة ، ودلالات عميقة "** [٣٤] يتولى (المتلقي) اكتشـــافها و استنبـــاطها بنفسه ، فالكناية مـــن الاساليب **" التي يُتَوخَّى بها إقناع المتلقي و إقامة الحجة عليه "** [٣٥] دون وضعه في موقف محرج ، ذلك **" أن للكنايـة إيجابيتين ، همـا الاستدلال و الإيجاز ... و بهذا تكون الكنايـة أبلـغ و أقوى إقناعا مـن التصريح بالمتلازمات ؛ فالمعنى الـذي يفهمـه المتلقي مـن قصـد المتكلم بعد التدبر و التفكر يكون أقوى تأثيرا ، و أكثر إقناعا من المعنى الصريح الذي يتطلـب رج العقـل ، فالمتكلم عندمـا يكنّـي يريـد مـن ذلـك إشراك المتلقي في العمليـة الإقناعية ؛ لأن الكنايـة تجعل المتلقي يقـوم بعمليـة ذهنية عقليـة لإدراك العلاقـة الدلالية التلازمية مـا بين المعنى السطحي الظاهر (المكنى بـه) ، و المعنى الخفـي الـذي يريـد المتكلم التوصل إليـه (المكنى عنـه) ، و هـذا مـا يجعله يتوصل إلى الفكـرة التـي يريدهـا المحاجج بنفسـه ، و توصـل المتلقي إلى مـا يريده المحاجج بنفسـه يجعل تقبلهـا و الاقتناع بهـا سهلا ميسورا ؛ لأنـه هـو الـذي استدل بنفسـه علـى صحـة مـا يقولـه المتكلم ؛ لذلـك تمثـل الكنايـة حجـة يتوجـه بهـا المتكلم إلى عقـل المتلقي لينقلـه مـن التعبير الكلامي الظاهر إلى دلالة أعمق تردفها في التـداول "** [٣٦] و تترك للمُرسِل حرية اختيار الاشارات و الرموز التي تساعده على الربط و الايحاء بين المعاني و ذلك لطبيعة الكناية الانزياحية فهي عدول عن إرادة المعنى القريب الى إرادة المعنى البعيد و لا مانع من ارادتهما معا ، يتضـــح مما تقدم بأن الكناية **" وسيلة من وسائل التأثير و الإقناع "** [٣٧] ، و قد كان للكناية حظ وافر من الاستعمال في ديوان ابن هانئ الاندلسي الذي كان يبني خطابه الإقناعي الفكري و المذهبي و السياسي من خلال قصائده في مدح الخليفة الفاطمي غالبا و كان يستهدف إقناع الخليفة الفاطمي نفسه كمتلقٍ مباشر و يستهدف عامة الناس كمتلقٍ ثانٍ حاضرا كان او غائبا ، و هو بهذا يعبر عن ادراكه العميق بما في نفس الخليفة الفاطمي و تلبية لرغباته فهو لا يريد شاعرا مداحا يُطرب نفس الخليفة فقط و انما هو صاحب دولة ناشئة تحتاج الـــى صـــوت اعلامي واعٍ يروج اهدافها و يقنع الناس بمساعيها و احقيتها ، و لعـــل هذا (التناغم) بين الشاعر و الخليفة الفاطمي هو سر تمسك كل واحد منهما بصاحبه فالخليفة الفاطمي حينما لمس هذا الوعي عند الشاعر قربه و أعلى شأنه و أغدق عليه ، فأدى كل واحد منهما دوره للآخر على اكمل وجه و بقناعة تامة ، و قد شكل هذا المنحى علامة بارزة في مدائح ابن هانئ الاندلسي للمعز الفاطمي ، انظر مثلا الى قوله [٣٨] :

[من الكامل]

شُمُّ العَوالي والأنوفِ تَبَسّموا تحت القُنوس فأظلموا وأضاءوا

يقول الشاعر بأن " **رماحهم طوال و هم أهل رفعة و شرف و أظلموا بسبب لبسهم بيض الحديد لأن الحديد أسود و أضاءوا بسبب تبسمهم و طلاقة وجوههم في الحرب لأنهم لا يخافون شرها و اعلم ان شمم الأنف مما يُمدح به عند العرب و منه قولهم (هو أشم الانف و العرنين) أي السيد ذو الأنفة الكريم ، و هو كناية عن الرفعة ، قال الفرزدق في مدح الامام علي زين العابدين (رضي الله عنه) :**

بكفه خيزرانٌ ريحهُ عبقٌ من كفِ اروعَ في عرنينِهِ شممُ " [٣٩]

ففي قوله (**شُمُّ العَوالي والأنوفِ**) كناية عن صفة [٤٠] و هي هنا كناية عن الرفعة و العزة و القوة و البسالة في القتال ، بهذا المعنى يدفع الشاعر المتلقي للتفكير في المعنى بحثا عن هوية (المكنى عنه) المحذوف و ذُكرت صفته ، و المتلقي هنا يعرف هوية الممدوح بلا شك و لكن الكناية أتاحت للمتلقي أن ينظر للممدوح من زاوية أخرى ربما لم يره من خلالها قبلا و كأن الشاعر يدفع المتلقي لإعادة اكتشاف شخصية الممدوح و الانبهار به مجددا أو على الاقل زيادة مستوى الاعجاب و القبول لديه ، و بهذا فقد حقق الشاعر الاقناع من خلال الكناية ، و يُمكن أن نوضح عملية الاستنتاج التي حصلت بواسطة الكناية من خلال المخطط الآتي : (**شكل رقم (١)**).

أما اذا نظرنا في قول ابن هانئ الاندلسي [٤١] :

[من الطويل]

أفي الشمس شكٌّ أنها الشمسُ بعدما تجلّتْ عِياناً ليس من دونها سِتر

يقول الشاعر هل الشمس اذا طلعت شك ؟ و بالتأكيد ليس هناك شك في كونها الشمس ، و هنا استفهام إنكاري يُريد من خلاله الشاعر إقامة الحجة و نفي الشكوك نهائيا و يُعبر الشاعر عن الممدوح بكونه الشمس ذاتها ، و الكناية هنا كناية عن صفة فالمكنى عنه هو جمال الممدوح و هيبة حضوره فهو يطلع على الحاضرين كطلوع الشمس على الدنيا بما فيها من جمال و جلال و سطوة ، مما يجعل المتلقي يستحضر كل معاني طلوع الشمس التي تتزاحم في مخيلته بسرعة فتُثير عواطفه و تجعله في حالة من الانبهار بالممدوح تزيد من قبوله لكل ما يصدر عن الممدوح و بهذا القبول يتحقق الاقناع ، و يُمكن أن نوضح عملية الاستنتاج التي حصلت بواسطة الكناية من خلال المخطط الآتي : (**شكل رقم (٢)**).

و من الأمثلة على استخدام الكناية كوسيلة إقناعية في شعر أبن هانئ الاندلسي قوله [٤٢] :

[من الطويل]

ألقى الدِّمُسْتُقُ بالصّلبان حينَ رأى ما أنزَلَ اللّهُ من نَصْرٍ وتأييد

يصور لنا ابن هانئ الاندلسي كيف أن الدمستق [٤٣] القى الصُلبان التي هـــــــي رمز ايمانه حينما رأى النصر الباهر للمعز و جيشه القوي ، و هنا كناية عن موصوف [٤٤] حيث ان المُراد من هذه الكناية هو بيان قوة الممدوح و بطشه و ظهور الحق و انخذال الباطل فالحرب مع الروم حرب عسكرية – دينية ، و من محاسن الكناية انها تترك كل الاحتمالات مفتوحة و مقبولة في ذهن المتلقي طالما هي تُلائم المعنى ، و لا شك بأن القاء الصلبان يعني الاستسلام و التسليم و هو أحد مظاهر الاقناع ، و يُمكن أن نوضح عملية الاستنتاج التي حصلت بواسطة الكناية من خلال المخطط الآتي : (**شكل رقم (٣)**).

و لننظر الى قوله في مدح المعز الفاطمي [٤٥] : [من الطويل]

وما سارَ في الأرض العريضَةِ ذكرُهُ و لكنّهُ في مسلَكِ الشمس سالِك

ينفي الشاعر أن يكون ذكر الممدوح قد انتشر في الأرض فقط و لكنه انتشر في السماء كذلك و هذه كناية عن نسبة [٤٦] أي نسبة الشهرة و العظمة للممدوح و كونها ملازمة له ، و الشهرة لمن يتسنم منصب الخلافة أمر طبيعي بل انه من البديهيات ، فما الفضل في نسبتها اليه ؟ يجيب الدكتور زاهد علي من خلال قراءته في شرح البيت الشعري اذ يشير الى ان **" ذكره شائع بين الملائكة "** [٤٧] و لهذا الرأي ما يعضده فالشاعر ينظر للمعز الفاطمي بوصفه إماما و ليس مجرد حاكم و يخلص الشاعر الى نتيجة نهائية في اعتقاده الا و هي احقية العلويين ، و من ثَمَّ ، الفاطميين بالخلافة دون العباسيين ، و في جميع الاحوال فجمالية الكناية تتجلى في كونها منفتحة على كل القراءات اذا لم تجد ما يعارضها في معنى النص ، و هنا يستمر الشاعر بإثارة اعجاب المتلقي بالممدوح مما يزيد من مستوى الاذعان لديه و بالتالي تتولد لديه القناعة التي استهدفها الشاعر من الاساس الا و هي الاقرار بإمامة المعز الفاطمي ، و يُمكن أن نوضح عملية الاستنتاج التي حصلت بواسطة الكناية من خلال المخطط الآتي : **(شكل رقم (٤))**.

نكتفي بهذا القدر من الكنايات التي توضح كيفية استعمال ابن هانئ الاندلسي الكناية بأشكال متعددة كوسيلة إقناعية ليقنع المتلقي من خلالها و لم تكن مجرد تزيين للنص و انما حمَّلها الشاعر الادلة و البراهين التي تعضد وجهة نظره مستثمرا طاقتها الحجاجية و قدرتها على كسب مشاعر المتلقي و استمالته و بالتالي اقناعه .

اذن فقد نجح الشاعر في الانتقال بالآليات البلاغية للإقناع من الابلاغية الى الحجاجية للوصول الى غاياته الاقناعية باعتبار ان الشاعر كان يرى في نفسه الصوت الرسمي الأول للدولة الفاطمية و قد صرح أكثر من مرة بأنه جندي في جيش المعز الفاطمي و لكن سلاحه هو الشعر و بالتالي تقع على عاتقه مسؤولية اقناع الجمهور بشرعية هذه الدولة .

الاشكال :

١- شكل رقم (١) :

١- شكل رقم (٢) :

٢- شكل رقم (٣) :

٣- شكل رقم (٤) :

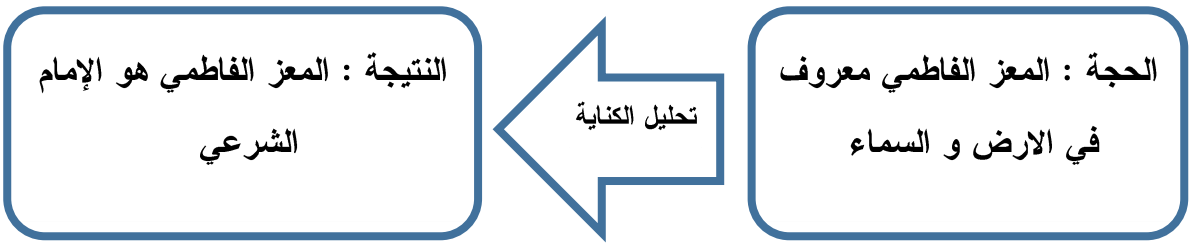

الحواشي :

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م : ٤٥٦ .

(٢) ينظر : من المنطق الى الحجاج ، الدكتور ابو بكر العزاوي ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الاردن ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٦ م : ٤١ .

(٣) الخطاب الحجاجي انواعه و خصائصه ، هاجر مدقن ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و العلوم الانسانية ، جامعة ورقلة ، ٢٠٠٣ م : ٤٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٢ .

(٥) الحجاج و وسائله البلاغية في النثر العربي القديم : ١٣٤ .
(٦) المصدر نفسه : ١٣٥ .
(٧) (٧) المصدر نفسه : ١٣٦ .
(٨) ينظر : التكملة لكتاب الصلة المؤلف: ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) تحقيق: عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة ، لبنان ، (د . ط) ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م : ١ / ٢٩٥ .
و ترجم كذلك لأبيه هانئ بن محمد : ٤ / ١٤٧ .
و ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١ هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، (د . ط) ، ١٨٨٢ م : ٢ / ٥ - ٧ .
و ينظر : الاحاطة في اخبار غرناطة ، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن الخطيب (ت ٧٧٦ ه) ، مراجعة و تقديم و تعليق بوزياني الدراجي ، دار الامل للدراسات ، الجزائر ، ٢٠٠٩ م : ٢ / ٧٦١ .
و ينظر : ابن هانئ المغربي الاندلسي شاعر الدولة الفاطمية ، محمد اليعلاوي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٤٠٥ ه – ١٩٨٥ م : ١٠٧ – ١٤١ .
و قد ناقش محمد اليعلاوي أسباب عدم وجود ترجمة وافية لإبن هانئ الاندلسي من قبل معاصرية او ممن تلاه بقليل من المؤرخين و الادباء بشكل مستفيض و لم أتت اخباره متفرقة ؟ ثم يخلص الى أن اعتناقه المذهب الاسماعيلي حال دون الترجمة له و دفع الكتاب للتغاضي عنه و التحامل عليه بل و تعرضه لمحاولة طمس اخباره ، ينظر : ٧ – ٣٠ .
(٩) ينظر : ديوان ابن هانئ الأندلسي ، ابن هانئ الأندلسي ، اعتنى به و شرحه حمدو أحمد طمَّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٥ م : ٧ .
(١٠) معجم الادباء ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوي الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٣م : ٦ / ٥٦٧ .
(١١) ينظر : الادب الاندلسي ، الدكتور سامي يوسف ابو زيد ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عمّان ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٧ ه – ٢٠١٦ م : ١٧٢ – ١٧٣ .

(١٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني (ت ٥٤٢ ه) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د . ط) ، ١٤١٧ ه – ١٩٩٧ م : ٧ / ٢١٠ .
(١٣) ابن هانئ الاندلسي بين دارسيه القدماء و المُحْدَثِين ، عاد كامل صابر العبيدي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٣ م : ١٧٢ .
(١٤) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٢/ ١٨٦ .
(١٥) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت ٥٢٩ ه) ، تحقيق محمد علي شوابكة ، دار عمار - مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م : ٣٢٢ – ٣٢٣ .
(١٦) ابن هانئ المغربي الاندلسي شاعر الدولة الفاطمية : ٢٤١ .
(١٧) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ م : ٣ / ١٥٠ .
(١٨) معجم الادباء : ٦ / ٥٦٧ .
(١٩) المُطرب من أشعار أهل المغرب ، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ه) ، تحقيق : الأستاذ إبراهيم الأبياري ، الدكتور حامد عبد المجيد ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، راجعه : الدكتور طه حسين ، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د . ط) ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م : ١٩٢ .
(٢٠) وفيات الاعيان : ٤ / ٤٢٤ .
(٢١) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م : ١٦ / ١٣٢ .
(٢٢) البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، دار الفكر ، (د . ط) ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م : ١١ / ٢٧٤ .
(٢٣) الإحاطة في أخبار غرناطة : ٢/ ١٨٧ .
(٢٤) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م : 1 / ٢٦٠ .
(٢٥) ابن هانئ الاندلسي- درس و نقد-،الدكتور منير ناجي،دار النشر للجامعيين ، الطبعة الأولى ،١٩٦٢ م : ٢٧٤ .
(٢٦) و قد رده الصفدي بقوله : " وَ هَذَا من التعصب المفرط لِأن شعره يرشف خندريساً و يكسف من أشعار غيره شموساً " ، الوافي بالوفيات : ١ / ٢٦٠ .
(٢٧) للاستزادة ينظر : ابن هانئ الاندلسي بين دارسيه القدماء و المُحْدَثِين : ١٧٠ – ١٩٠ .
(٢٨) ابن هانئ الاندلسي متنبئ المغرب ، الدكتور عارف تامر ، دار الشروق الجديد ، بيروت ، الطبعة الثانية،١٩٦١ م : ١٤ .

(٢٩) ابن هانئ الاندلسي - درس و نقد - : ٢٧٤ .
(٣٠) ابن هانئ الاندلسي - درس و نقد - : ١٧ .
(٣١) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (تـ ٤٧١ ه) ، قرأه و علق عليه محمود أحمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د . ط) ، (د . ت) : ٦٦ .
(٣٢) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (تـ ٦٢٦ ه) ، حققه و فهرس له : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٠ ه – ٢٠٠٠ م : ٥١٢ .
(٣٣) ينظر : جواهر البلاغة : ٢٢١ .
(٣٤) الاقناع في الشعر السياسي الاموي : ٧٩ .
(٣٥) استراتيجية الاقناع في الخطاب القراني – السور المكية انموذجا - ، جمال شلباب ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، ٢٠١٦ م : ١١٧ .
(٣٦) الإقناع البياني في الشعر الأندلسي – الكناية انموذجا – الاستاذ الدكتور هناء جواد عبد السادة – الدكتور فرقان نجم جبار ، مجلة كلية الفقه ، جامعة الكوفة ، العدد ٣٣ ، كانون الأول ٢٠٢٠ م : ١٢٨ .
(٣٧) الآليات الحجاجية في أسلوبي الكناية والتعريض - سورة هود - ، بختي العياشي – اشراف الدكتور معازيز بو بكر ، مجلة حوليات الآداب واللغات . ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، العدد التاسع ، المجلد الثاني ، نوفمبر ٢٠١٧ م : ٢٢٦ .
(٣٨) تبيين المعاني : ٢٨ .
(٣٩) تبيين المعاني : ٢٨ .
(٤٠) الكناية عن صفة : هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام.
و للاستزادة : ينظر : جواهر البلاغة : ٢٢٢.
(٤١) تبيين المعاني : ٣٣٦ .
(٤٢) تبيين المعاني : ٢١٧ .
(٤٣) الدمستق لقب للقائد العسكري رفيع المستوى عند الروم في ذلك الزمان .
و للاستزادة ، ينظر : تبيين المعاني (المقدمة) : ٤٧ .
(٤٤) الكناية عن الموصوف : هي ما كان المكنى عنه فيها موصوفا و تذكر صفة أو أكثر من صفاته في القول .
و للاستزادة : ينظر : جواهر البلاغة : ٢٢٣.
(٤٥) تبيين المعاني : ٥١١ .
(٤٦) الكناية عن النسبة : هي الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر - إثباتًا أو نفيًا - فيكون المكني عنه نسبة ، أسندت إلى ما له اتصال به.
و للاستزادة : ينظر : جواهر البلاغة : ٢٢٢.
(٤٧) تبيين المعاني : ٥١١ .